الصّهيونية والوفاق الدّولي

١

نستطيع القول بأنه كلما اتسع الانفراج العالمي وكلما ازداد الوفاق الدولي قوة وعمقا، كلما ضاق المأزق الذي يحيط باسرائيل والصهيونية في هذه الأيام، والذي لم يسبق لها أن أحاط بها مثله في تاريخها كله.

ذلك لأن الصهيونية كانت دوماً تستفيد من التناقض الدولي دون أن تذوب فيه، وظلت تعيش على الخلافات الدولية والاقليمية منذ البداية، وما زالت تعتمدها كأساس لاسناد دولتها في فلسطين، ولعلها بذلك تمثل صورة مكبرة للمجتمعات اليهودية، والأفراد اليهود، في كل الدول التي يعيشون فيها، فاليهودي قد يكون أمريكيا أو روسياً أو عربياً أو حبشياً أو هندياً، ولكنه مع كونه كل ذلك، فإنه يبقى اليهودي الذي يحتفظ بولائه لليهودية أولا، ويمد جذوره لكل يهودي من أبناء عقيدته أينما وجد على ظهر الأرض، من فوق جميع الأوطان التي عاش أو يعيش فيها، وفيما عدا الشاذ الذي لا حكم له، لا يستثنى من هذا الواقع اي من العلماء والفلاسفة، الذين وقفوا على قمة الحضارة الأوروبية، ومن بينهم أسماء ماركس، ودوركايم، وفرويد،

وأنشتاين، دع عنك تلك الأسماء من كبار الساسة ورجال المال والاقتصاد، الذين استطاعوا أن يحزموا العالم بحبال المال اليهودي، ومدوا شراكه إلى كل بقعة على وجه الأرض، حتى ليذهب بعض المفكرين الى أن كل هذه الأسماء المشهورة في التاريخ الحديث، إنما هي فقط الرأس البارز من جسم المؤامرة اليهودية على الأديان وعلى الانسانية كلها، والتي يتكشف أحيانا من فلتات غير محسوبة، مثل كتاب: «البروتوكولات» ومثل بعض الجمعيات الغامضة والسرية، التي تتخلل الجسم الانساني كله.

ولعل الصورة العنصرية التي تتلبس أولئك «الشوامخ» من يهود، تتجلى أكثر ما تتجلى في سيرة «سيجموند فرويد» والذي يقول عنه مؤرخ حياته «ايرنست جونز»: إن فرويد كان ليبرالياً لأن الليبرالية هي أنسب الأفكار السياسية لاتجاهاته الذهنية، لأنه لم يجد في الاتجاهات السياسية في زمانه، ما يمكن أن يوافق ميوله العنصرية اليهودية، هذه الميول التي تتضح بشكل سافر عندما تقرأ عن دائرة رفاقه وزواره وحوارييه في لندن. . لقد كان هناك من رفاقه «ستيفان زفايج» الكاتب اليهودي، ومالينوفسكي عالم الانثروبولوجيا، وحاييم وايزمن الزعيم الصهيوني، وأول رئيس لاسرائيل. ويكتب فرويد الى المعهد العلمي اليهودي في لندن يقول:

«إني أعتز بيهوديتي بفخر» ويقول في كتابه «موسى والتوحيد»، ترجمة الدكتور عبد المنعم الحفني: «إن لليهود

obeikandi.com

فكرة عالية عن أنفسهم، وهم يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم، وعلى مستوى أعلى، وأكثر تقدما» ويقول: «إنهم يصدقون في الـواقـع ما يقولونه عن أنفسهم من أنهم شعب الله المختار».

ويقـول الـدكتـور الحفني في مقـدمـة ترجمـة كتـاب «مـوسى والتوحيد»: «وهذا الاعتزاز بيهوديته ـ أي فرويد ـ هو نفسه الذي جعله ينضم إلى جمعية «بناي بريث» عام ١٨٩٥، وظلا طوال حياته عضوا فيها، وهي أشد الجمعيات الصهيونية غلواً وتعصباً».

واذا كان فرويد يمثل قطاع الفلاسفة وعلماء النفس، فان الأستـاذ محمـد حسنين هيكـل يسجل لآينشتاين عالم الفيزياء الأشهر، وصاحب نظرية النسبية، يسجل في مقابلته له أنه كان أشد ما يكون لهفة وحرصا على أن يعرف نوايا جمال عبد الناصر تجاه إسرائيل. وآينشتاين هو الذي رشح لرئاسة اسرائيل، وهو في مقامه العلمي، يبعد أن تعلق به تهمة العنصرية والتحيز إلى العدوان الاسرائيلي!.

لقـد كان لأصحـاب رؤوس الأمـوال اليهود فضل كبير في التاريخ الاقتصادي الحديث، وكان لهم دور اساسي في توجيه الثروة بحيث تكون هي صاحبة السلطان على تحرك العالم، و «هيربـرت ويلز» يروي في كتابه «الثروة وسعادة الانسان» كيف نمت الثـروات اليهـودية في أوروبـا وأمريكا، وكيف كان أولاد روتشيلد يمـولـون الحـروب الأوروبية الطاحنة من أواخر القرن الثـامن عشـر إلى أواسط القـرن التاسع عشر، ويذكر طرفا من

سيرتهم ونفوذهم في تلك الأيام.

ودور «روتشيلد» والأثرياء اليهود دور مشهود في ربط اليهود ببعضهم، من بدايات ظهور الحركة الصهيونية، ولعل العنصرية اليهودية أكثر ما تتجلى اليوم فيما يعرف بـ «اللوبي الصهيوني» صاحب الصوت المسموع في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي توجد نظائره في كل بلد من العالم تقريبا وهو، فضلا عن طبيعته العنصرية، يعتبر أحدث صورة مطورة «للغيتو» الذي أفرزه الانعزال اليهودي مع تعاقب الأزمان.

إن المسألة أو المشكلة اليهودية، تكمن في رأي الكثيرين في العقيدة المتعالية التي توارثها الحاخامات عن الشعب المختار، وعن «اسرائيل» الذي صارع الرب «الوهيم» استعدادا لصراعه مع «الغوييم» الذين ينكرون عليه هذا التميز والسمو، وطبيعي أن يحس صاحب هذه العقيدة دائما بالاضطهاد وعدم الرضى أن لا يجد من يعترف له بهذا الحق الالهي، من بين هؤلاء «الجنتايلز» أو الأمميين الذين سخرهم الرب لخدمته والسهر على راحته. بهذا الانكفاء الداخلي على الذات، أمكن لليهودي أن يستعصي على الذوبان، بين جميع الشعوب والمجتمعات التي عاش بين ظهرانيها، وأمكن أن يتحقق ما قلناه في البداية، من أن الصهيونية تستفيد من التناقض الدولي ولا تذوب فيه، واذا كانت فلسطين والقدس والهيكل، ونداء الرجوع إليها، جزءا من هذه العقيدة، أمكن لنا أن نتخيل زخم الاسناد، وحجم القوة التي تحرك بهما العدوان الصهيوني على فلسطين.

لقد انحاز التنظيم الصهيوني الى الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، عندما تأكد له، أن النصر سيكون حليفهم على المانيا والدولة العثمانية، وسارع حاييم وايزمن لتقديم اختراعه عن المتفجرات إلى بريطانيا لتدعيم سلاحها الحربي، بهدف كسب الامبراطورية المنتصرة الى جانب الأهداف الصهيونية، وليحسب له حسابه من غنائم الحرب، فكان وعد بلفور المشهور، الذي كان أولى الخطوات العملية المدعومة دوليا نحو الاستيلاء على فلسطين، وحين بدأ التناقض بين المصالح البريطانية والصهيونية، أواخر أيام الانتداب، كان البديل جاهزا بوجود الولايات المتحدة الأمريكية، الامبراطورية المتعاظمة والتي خلفت بريطانيا في زعامة ما يسمى بالعالم الحر، وكان ترومان وحاشيته، وكورس اللوبي الصهيوني، على أتم الاستعداد للقيام بالمهمة التي تلكأت بريطانيا في اتمامها بما يتلاءم والأطماع الصهيونية في فلسطين. وفي كتابه «اسرائيل سنوات من التحدي» ينقل «بن غوريون» عن محضر جلسة له مع اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني، حضرها وايزمن، والكولونيل «وينجيت» مؤسس النواة الأولى للجيش الاسرائيلي، أنه ـ أي بن غوريون ـ أكد مرة أخرى للورد لويد ما قاله له كثيرا، وهو أن اللورد يهودي ـ أولاً وأخيراً ـ وأن هذا هو سبب وقوف بن غوريون الدائم مع بريطانيا، وأنه إذا قدر لبريطانيا أن تصاب بنكسة، فتلك هي الكارثة التي تصيب اليهود»، ويضيف: «إن بريطانيا هي صديقتنا الوحيدة في هذا العالم!!». ويقول بن غوريون: «لقد أراد وايزمن وأنا، أن يسمع اللورد من الكولينيل «وينجيت»

الـذي بدأ حديثـه بالاشـارة الى الأهمية الاستـراتيجية البـالغة لفلسطين والبحر الأبيض، وخليج العقبة، وقال: إن مركز الثقل قد انتقـل الى فلسـطين عن مصر، بسبب التطور التكنولوجي، وتقـدم الـطيران، وإن بريطانيا لا تستـطيع أن تحتفظ لنفسهـا بموطىء قدم في الشرق الأوسط، إلا إذا احتفظت بقاعدة مأمونة وقـوية في فلسـطين ذات الموقع الجغرافي الفريد». من كتاب «المرحوم محمود العابدي عن بن غوريون وبناة اسرائيل ص٩».

هل يختلف هذا الكـلام الـذي قالـه بن غوريون لوزير المستعمـرات البـريطاني، عمـا يقـوله حكماء الصهيونية وقادة اسـرائيل لزعمـاء أمريكا؟! والذي قاله قبل أيام معدودة اسحق شامير تمجيدا لريغـان وشـولتز عندما رفض طلب رئيس منظمة التحـرير الفلسلطينية لدخـول أمـريكـا!! والتأكيد المستمر بأن أمريكا وحدها هي الصديقة المخلصة لاسرائيل، وأن فلسطين ذات المــوقـع الجغـرافي إياه، هي القـاعـدة الأهم في وجـه «امبراطورية الشر» السوفياتية؟!

وقد كان يمكن لقادة الصهيونية أن يتحولوا عن أمريكا إلى روسيا أو الصين، أو أية قوة تركب سرج العالم، ليخلعوا عليها نفس الألقاب، ويرفعوا لأعتابها نفس تعابير الاخلاص والولاء، ويقـدمـوا لهـا ما تريد **من الخـدمات**. **غير أن تطور** الأحداث العـالمية قد جاء بغير **ما يريده** حكمـاء **صهيون**.. فلقـد ساق الـرعب النـووي ـ **كما قلنا سابقا ـ الولايات المتحدة والاتحاد** السـوفياتي الى اللقـاء، **والى** الحـوار، **ثم للاتفاق على** تجنب

الـدمار الذي يهدد الكرة الارضية كلها، وهو تطور يتساوى مع حقائق الأشياء ولا ينكره حتى قادة الصهيونية أنفسهم، ولكنهم ينكرون ما يمكن أن يؤدي إليه هذا الاتفاق، حين ينتقل إلى إطفاء كل البؤر الخطرة، التي يمكن أن يتفجر فيها الصراع النووي على أي بقعة من الأرض، ذلك لأن الصراع العربي الاسرائيلي هو واحد من هده البؤر الخطرة، بل هو أخطرها على الاطلاق، ولا بد أن يكون في أولويات بنود ذلك الاتفاق. . وهو أمر لا يرضي الصهيونية، وقـادتهـا لأنهم لم يصلوا بعـد إلى حدود الحلم التـاريخي في الوطن العربي، ولم يصلوا باسرائيل إلى مستوى أكبـر «غيتو» مسلح ومحصن في التاريخ، وبهذا تتكشف أبعاد المأزق الذي يحيق بدولة اسرائيل في هذه المرحلة بالذات، التي استـطاع فيهـا أطفـال الحجارة أن يهزوا الضمائر الراكدة، وأن يطرقوا العالم كله. إن ها هنا شعب لم يطوه الثرى ولن يصفو عليه الماء، انما هو لا يزال حيا يقاوم المعتدين.

ولا شك أن الأقـطـاب يدركون شدة الحرج الذي سيواجهونه مع الصهيونية، فبـدأوا يعـالجـون المشكلة من البـداية بأقصى درجات السرية، يقول الرئيس الأمريكي السابق «نيكسون» في كتـابه «القادة»: «إن الصراع العربي الاسرائيلي كان الموضوع الرئيسي الذي تم بحثه في لقائه مع «بريجينيف». . وبعد قمة «ريكيافيك» بين غورباتشوف وريغان، خرج شولتز ليقول: «إن قضية الشـرق الأوسط لم يجر بحثها، إلا في كلمات عابرة مع وزير خارجية الاتحاد السوفياتي!! وهو تصريح نعرف أنه يخالف الواقع!.

غير أن السرية التي حرص عليها الأقطاب في التعامل مع القضية الفلسطينية، بدأت تنزاح شيئا فشيئا مع الوقت، ومع بدء الحلول التي شملت أفغـانستان وكمبوتشيا وناميبيا، حتى ليبدو وكأن كوكبنا يوشك أن يهدأ ويستريح، ألا من هذا الذي يجري على أرض فلسطين؟.

obeikandl.com

الصّهيونية والوفاق الدّولي

٢

إن تأخير القضية الفلسطينية عن الحلول التي شاهدناها في شهور محدودة، للمشاكل الدولية، التي تحمل معها مظان الصدام النووي، لا يدل ـ كما أشرنا من قبل ـ على عدم الاهتمام أو الاسقاط كلياً، فالواضح ـ حتى الآن ـ أن القطبين قد اتفقا على ضرورة حل هذه المشكلة ـ وإلا كانا كأنما تركا الأصعب والأخطر ـ ولكنهما ـ على الأرجح ـ لم يتفقا على حل محدد لها، وإنما تركا للظروف والأحداث والتطورات، التي قد تثار أو توجه أو تخلق خلقاً أن تبلور حلاً ما يتفق عليه جميع الأطراف بمن فيها «منظمة التحرير الفلسطينية» الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني».

وللمراقب أن يلحظ الجهد الدولي ـ المرتب ـ وراء اجتماع المنظمة الدولية في جنيف، والدور الجريء الذي تقوم به بريطانيا، ودول السوق الأوروبية الى جانب الدور الكبير الذي قام به الاتحاد السوفياتي في تنظيم صف أصدقائه العرب، والذي ساعد إلى حد كبير في إعداد الهجوم السلمي الذي قامت به منظمة التحرير ومن ورائها دول الجامعة العربية، ذلك الهجوم

الـذي استنـد إلى قرارات الأمم المتحـدة، والاعتـراف بدولـة اسرائيل التي التهمت معظم أجزاء الوطن الفلسطيني.

واذا كان هذا الهجـوم لم ينجـح في الـوصول إلى أهدافه السلمية بعد، فإنه قد نجح في كشف قادة اسرائيل، وزيف كل الدعاوى السلمية التي كانوا يغلفون بها اعتداءاتهم، ويغطون بها عمليات مد الجذور التي يتم ارساؤها في الوطن السليب، في كل ساعـات الليل والنهـار، وهـو يكشف في نفس الوقت الأطماع الصهيونية التي تتجـاوز فلسـطين في إطـار الحلم الصهيوني التـوراتي المعروف، والتي لم يتخل عنها قادة الصهيونية قط، وإنما كانوا يتحركون نحوها تدريجيا، على هدي مخطط ينطلق من قاعـدة لا بد وأن تكون من القوة والصلابة إلى الحد الذي يستـطيعـون معـه ـ عنـد الضـرورة ـ الاستغنـاء عن الأصـدقاء والحلفاء، إذا ما تعارضت مصالحهم مع تلك الأهداف الصهيونية.

إن قادة اسرائيل يتبجحون بأنهم حصلوا على «الاستقلال» بقـوة السـلاح، «فلقـد انتصروا في الحروب التي خاضوها مع الـدول العـربية، مثلما كللت جميع انتهاكاتهم لقرارات الأمم المتحدة بالنجاح» واستطاعوا أن يفلتوا بدماء الكونت برنادوت ـ مبعـوث الأمم المتحـدةـ وانهم يرون أنهـا كانت حرباً مستمرة تتجاوز الاحاطة بفلسطين وحدها، إلى محاولات السيطرة على المنطقة العربية كلها!.

ولا جدال في أن هذا الـوفاق الدولي يهل على الصهيونية واسرائيل، وهما في أوج القدرة والقوة، فعلى الرغم مما نسمعه عن انهيار اقتصادها فإن مبيعاتها من الأسلحة وحدها، وصل في العام الماضي الى مليار دولار، وكل استعداداتها الصناعية لا تزال في البداية، وإذا كانت لم تنجح في عزل مصر عن جمهور الدول العـربية، فإن مشـروعهـا لتقسيم المنـطقة العربية بكاملها إلى دويلات مفككة لا يزال في البداية، فلبنان الذي تسيل دماء أبنائه في أكثـر من عقـد من السنين قد انتهى تقريباً الى التقسيمات الطائفية المعروفة، وإذا كانت آمالها ـ أي اسرائيل ـ قد خابت في أحـداث العراق، بعدم انقسامه إلى دولة شيعية وأخرى سنية، فإنها تنتظر الكثير في سوريا التي تراها مشابهة للبنان، وتتطلع بلهفـة إلى استعادة السيطرة على سيناء، لتكون لها الاحتياطي الاستـراتيجي والاقتصادي، ومحاولة «ابقاء مصر مجزأة وممزقة إلى عدة مراكـز للسلطة»، والسودان في رأي قادة الصهيونية لا يجـوز أن تستقـل «الأقلية السنية» فيه ـ هكذا ـ بحكم أكثريته المسيحية!! . . وكـل توقعـاتهـا عن مستقبل الأمة العربية تبدو متشابهة، وهي تحتفظ بدوائر ومخططات وخبراء لمتابعة شؤون كل دولة عربية على حده، إن المخططات الصهيونية المرسومة للتعامل مع المنطقة العربية، والتي أمكن الوصول إليها وكشفها، تعتبر ـ بكل المقاييس ـ مذهلة، وتحتاج إلى وقفة مطولة في غير هذه السلسلة المحدودة.

واذا كانت الصهيونية ترى أنها كانت قاب قوسين أو أدنى،

من تفكيك العالم العربي، بعد أن نجحت في محاصرة ما تدعوه بالاحتكار العربي للنفط، مثلما نجحت في تطوير سلاحها النووي، وفي تطوير صناعاتها التكنولوجية الى مراحل متقدمة جداً، فإن هذا الوفاق الدولي والحلول السلمية المنتظرة، قد هبطت عليها في غير اللحظات المناسبة.

ذلك لأن هذا الوفاق الدولي يداهمها قبل أن تصل إلى مستوى الدولة العظمى الذي جهدت في السعي إليه لتصل إلى دور الشريك في القرارات التي يتخذها الكبار لادارة شؤون هذا الكوكب، وقبل أن تتخلص ـ على الأقل ـ من السكان الفلسطينيين الذين يرجمون جنودها اليوم بالحجارة، وقبل أن تطور قدرتها التكنولوجية المتقدمة في صناعة «الروبوت» ليكون لها جيشا رديفا عند الضرورة. . !! وبذلك فإن معظم قادة الصهيونية يرون في السلام المطلوب منها في هذا الظرف بالذات، لغما يتربص بكل أهدافها، وجرفاً يتهدد المشروع الصهيوني من أساسه بالانهيار والزوال.

ولعل هذا ما يفسر الفوضى التي دبت في اسرائيل من خلال التصاريح والبيانات واختلاط الأوراق بين حزبي التكتل والتجمع، وارتفاع الأصوات الاسرائيلية لأول مرة تتهم أوروبا بالانحياز للعرب!! . . وربما باللاسامية! والنداءات الاسرائيلية للاعتماد على النفس، حتى ولو وصل الأمر بحماة اسرائيل إلى الثبات في «مسعدة» جديدة!!

وللمراقب أن يعجب من هذا الغضب المفاجىء الذي يجتاح اسرائيل وقادتها من التطورات الأخيرة. . كيف يبرره هؤلاء القادة، وهم الذين سبقوا العرب بالموافقة على قرار التقسيم عام ١٩٤٧، وهم الذين طالما ولولوا من الجيوش العربية التي ستلقي بهم في أمواج البحر. . ! كيف يجتاحهم هذا الغضب ومنظمة التحرير تعلن قبولها بما تبقى من فلسطين ـ الضفة الغربية وقطاع غزة ـ وهما دون الحصة العربية من قرار التقسيم القديم؟!

وما الذي يدل عليه إصرار قادة اسرائيل على الاحتفاظ بما يسمونه بـ «يهودا والسامرة» إلا أنهم وصلوا إلى نقطة معينة في حركتهم نحو حدود الحلم التوراتي، وأنهم لا يجوز لهم ـ بمقاييس عقيدتهم ـ التراجع أو النكوص عنها!!. .

وكيف تجوز دعوى شامير على أي عاقل، بأن مجرد التراجع عن يهودا والسامرة، معناه الخروج من حيفا واللد وبئر السبع؟. .

وهذه الدول الكبرى التي مكنت لهم في فلسطين، هي التي تعلن لهم تعهدها اليوم ـ بما هو أسهل وأهون ـ وهو أن يظل شامير محتفظاً بالجزء الأكبر من فلسطين، داخل حدود آمنة ومعترف بها من الجميع؟ الجواب على هذا قد يكمن في مقولة: «إن المشروع الصهيوني لم ينته بقيام الدولة، وإنما يبدأ بقيامها». ويكمن في ما أشرنا اليه من قبل عن ذلك الحلم المجنون، والمخططات العدوانية التي يدل تداعي الأحداث المتسارعة أنهم لن يتخلوا عنها بالسهولة التي يتخيلها الكثيرون.

ذلك لأن قادة اسرائيل يعرفون قبل غيرهم أنه لا يمكن التعامل مع المشكلة الفلسطينية بمعزل عن المصالح الدولية المتشابكة في المنطقة، وشارون طالما تبجح بأن اسرائيل تقدم لأمريكا من الخدمات أكثر مما تقدمه أمريكا لها. . وإذا كانت اسرائيل تمثل لأمريكا القاعدة المتقدمة، المجهزة بالتراسانة النووية، في وجه الاتحاد السوفياتي فانها ـ على التأكيد ـ لم تفقد كل مميزاتها، وخدماتها المطلوبة بمجرد الاتفاق بين الأقطاب على إلغاء عمل هذه القاعدة. . ذلك لأن خدمات اسرائيل لا تزال مطلوبة ومرغوبة للحفاظ على المصالح الأمريكية ـ وربما غير الأمريكية ـ في هذه المنطقة.

* * *

حين قدم رئيس جمعية الصداقة الفرنسية العربية استقالته تعبيرا عن حزنه واحتجاجا على اغتيال صديقه المرحوم «الهمشري» ممثل منظمة التحرير في باريس، قال: «إني لأعجب من هذا العالم العربي الذي يقتل أبناؤه بعضهم بعضاً، والقوى الكبرى، أمريكا وروسيا، تختلفان على كل شيء ولا تتفقان الا على أمر واحد، هو أن يظل هذا العالم العربي مجزءا ومقسماً».

هذا الكلام ـ في تقديرنا ـ يحمل كل عناصر الصدمة، في لحظات من الحزن والغضب، ولعله يفسر هذا الاصرار الدولي، على تكرار عبارات: حق كل دولة من دول المنطقة في العيش بسلام ضمن الحدود الآمنة. لأن معناه ضرورة المحافظة على

obeikandi.com

الأمر الواقع، الذي قد يجعل من الوحدة التي تنشدها الشعوب العربية هدفاً بعيد المنال، ويجعل في نفس الوقت المصالح الدولية في مأمن من قيام دولة عربية قوية تستطيع المحافظة على مصالح شعوبها التي قد تتناقض مع المصالح الدولية، وإذا كانت هناك نصائح موسمية من الدول «الصديقة» لقادة الدول العربية من أجل الاتفاق وتصفية الخلافات الآنية، فإنها لا ترقى إلى حد مساندة الحركات الحقيقية للوحدة، أو الاتحاد بين العرب، وإنما هي من أجل «تصليب» الموقف العربي للوصول إلى حد معقول المقضية، أمام الشره الصهيوني الذي لا يعرف الحدود، وإذا كانت الدول عموماً لا تتبنى العواطف في سياساتها، فإنها لا تملك التساهل في ما يتصل بمصالحها في المنطقة العربية، التي تضم أكبر احتياطي للنفط في العالم، إلى جانب الموقع والخامات الكثيرة الأخرى.

لا خلاف اذن في أن خدمات اسرائيل لا تزال مطلوبة، وأنها تمثل عند الأقطاب «ثقالة» التوازن وضمانة المصالح بين دول المنطقة، لذلك فإنهم يعتمدون السرية في مباحثاتهم، ويتعاملون معها بالحذر والرفق، ويتلمسون الحل من بعيد، وفي تمهل وهدوء، كما يتحسس الطبيب جسم المريض العزيز عليه، ولقد رأينا كيف تصرفت الادارة الأمريكية عند عزمها على الحديث مع منظمة التحرير الفلسطينية، والشروط التي وضعتها قبل بداية الاتصال، والتي يمكن أن يدخل بعضها في إطار التعنت، ومحاولة «الاذلال» ومع ذلك فان قادة اسرائيل ما يزالون

يرفعون عقيرتهم بالصراخ والاستنكار الغاضب، لخروج المنظمة من دائـرة الارهـاب، في الوقت الذي يتبنون فيه مشروعية قتل الأطفال والنساء، الذين يحرقون الاطارات، ويقذفون جنودهم المدججين بالسلاح بالحجارة!!.

obeikandl.com

الصّهيونية والوفاق الدّولي

٣

مع كل هذا الـذي ذكـرنـاه عن أهمية الـوجود الاسرائيلي للمصالح الدولية، وضرورات الارضاء للدولة الصهيونية، فإنها تظل دون أهمية الـوفاق الدولي الذي يحكمه الرعب النووي، ذلك لأن ترك القضية الفلسطينية مسرحا للطمع الاسرائيلي في المنطقة العربية، دون حل ملزم، سيكون عملية استفزاز مستمرة للشعوب العربية، والشعوب الاسلامية في آن واحد، وإذا كانت المؤامرات الصهيونية وحركة النفوذ الغربي قد استطاعتا أن تشلا قدرة الوطن العربي، بتمزيق هذا الوطن، وزرع الخلافات بين أجزائه، ليكون فريسة لأطماعهما معاً، فإن الاصرار على هذه السياسة في هذه المرحلة بالذات قد يحمل لأصحابها أخطاراً لا يمكن قياسها والسيطرة عليها، إذ أن مثل هذاا التحدي الصهيوني الفاجر، لا يترك للشعوب العربية ولا حتى لقادتها، فرصة للزوغان من مواجهـة التحـدي، وإنهم سيصلون في النهاية إلى مرحلة اليأس، والصمـود ـ حتى الموت ـ دون حساب للنتائج، مثلما حدث لانفجار الحجارة في أيدي الأطفال والنساء في فلسطين، وهذا الاحتمال لا يخفي في طياته مجرد الوصول للتعامل بالسلاح النووي فحسب، وإنما يطل من ورائه كذلك، الاسلام بزخمه

التـوحيدي ضد الظلم والظالمين، والذي قد لا يقف تياره عند المنـطقـة العـربية وحـدهـا، بل لا بد وأن يتعداها الى العالم الاسـلامي كله، حين تكـون القـدس والمسجـد الأقصى هي موضـوع الجهـاد والاستشهـاد، وهو تطور قد تتغير معه خريطة المنطقة كلها، وقد يؤدي إلى بروز كتلة الألف مليون مسلم، وهو الأمر الذي لا ترحب به الدول الكبرى التي تمسك بزمام العالم، على أي حال.

هذا هو الـذي سيدفـع ـ في تقديرنا ـ بالأقطاب إلى عدم التهاون في ضرورة الوصول إلى حل للمشكلة، مهما ذهبوا في مداراة الصهيونية واسـرائيل، وهو واقع يبدو أن حكماء صهيون يدركـونه مبكراً، ولكنهم لم يتخذوا إزاءه القرار اللازم، ولذلك فإننـا نشهـد هذه الفـوضى والانقسـام والارتباك في صفوفهم، فهناك فريق يرى أنه لا بد من التفاهم مع العرب، ويقولون: «. . إن من يفكر في المستقبل في حدود العقدين القادمين، يدرك أن الشرق الأوسط معرض لأن يكون مغموراً بالتكنولوجيا النووية. . وهـذا هو الـذي يدعو الى عمل كل ما يمكن عمله، من أجل الانتقـال من المنـافسـة في سبـاق التسلح، إلى اتجـاه الحوار الحقيقي. .» ويقول أحدهم: «إنه لا يوجد خيار للعرب ولا لنا ـ والعرب يفهمون ذلك مثلنا ـ سوى البديل الوحيد في هذه المنطقة وهو بديل المفاوضات والحياة بسلام»!

واذا كان الغرب والشرق معاً قد حزموا أمرهم على تفكيك وحل كل المشاكل على سطح الكرة الأرضية، فإن الأسلم لهم،

ولاسرائيل معاً أن يتم الحل في هذه الآونة، لأنه الحل الذي لا يستطيع معه العرب بخلافاتهم وواقعهم الممزق، إلا أن «يبصموا» عليه، من خلال مؤتمر دولي، أو غير دولي، وأن يرضوا بما يقسم الكبار لهم، وتستطيع المدللة اسرائيل، والتي تعرف منزلتها عندهم، أن تحتاط للمستقبل القريب والبعيد، وأن تأخذ من الضمانات لوجودها وقوتها ما قد يفي بطموحاتها وأطماعها، أو بعضها على الأقل!

غير أن «المؤمنين» بالحلم التوراتي، من حكماء صهيون، والجمهور المتحمس في اسرائيل، يرون أن في هذه الحلول كلها، ما قد يؤدي إلى نهاية الحلم وتفكك الدولة وذوبانها، وهم يرفضون التسليم بهذه النهاية، على الرغم من كل الضغوط الهائلة التي قد يتعرضون لها، ولا شك أن الإدارة الأمريكية بالذات تعرف حجم المصاعب التي ستواجهها مع تحدي الرافضين من حكماء صهيون وقادة اسرائيل، ذلك لأن الصهيونية بدأبها وجهدها الطويل تمكنت من الإمساك بأحشاء مناطق كثيرة في العالم، ولها سلطانها في النقاط الحساسة من نشاط البشرية، في المال والعقيدة الدينية..!

* * *

في المقال الأسبوعي في جريدة الدستور الأردنية، للصديق الأستاذ فهمي هويدي بتاريخ ٢٤ يناير الماضي، تحدث فيه عن ما سماهم بـ «الأصوليين الأمريكيين» وكشف فيه المفارقة في

نظرة الباحثين الأمريكيين، نحو الأصوليين هناك، والأصوليين المسلمين هنا، ويقول: «الأصوليون أبرار في أمريكا، أشرار عندنا. . . هذا هو الانطباع العام لدى الباحثين الأمريكيين الذين يتعاملون مع المصطلح بمعيارين مختلفين، وعندما يأتي ذكر الأصوليين في سياق حديث عن الإسلام والمسلمين، يصبح محملاً بإشارات سلبية، خلاصتها، أن المعني به جماعة المتطرفين والإرهابيين، أما إذا كان الحديث عن الأصوليين الأمريكيين، فإن الآية تنقلب، ويصير المصطلح محملاً بإشارات إيجابية في الأغلب، أهمها، أنهم جماعة من «أهل الله الأتقياء الورعين».

فهمي هويدي

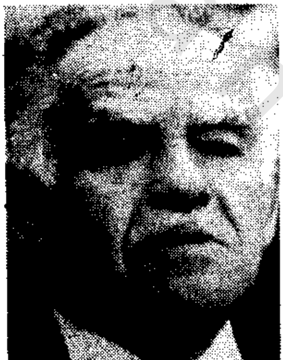

شامير

هؤلاء «الأتقياء» في أمريكا نشرت عنهم الكاتبة الأمريكية «جريس هالسل» كتاباً سمته: «النبوءة والسياسة» تحدثت فيه عن التناقضات واللامعقول في سلوك تلك الجماعات بما لا يخرج كثيراً عما لخصه الصديق **هويدي**، وجاءت في كتابها على ذكر

الخدمات التي تقوم بها جماعات «الأصوليين» لخدمة اسرائيل ابتـداء من جلب السياح والزوار، إلى الوقوف معها ـ سياسياً ـ بالحق وبـالبـاطل، من بداية زرعها في فلسطين. . أولئك هم الأصوليون الذي أفرزتهم الكنيسة البروتستانتية من الانجليكان والمـورمـون والسبتيين والكويكرز وغيرهم الذين يؤمنون بحرفية النبوءات التوراتية، وبذلك يؤمنون بأن دولة اسرائيل هي المقدمة لتحقيق النبـوءات التي تؤدي إلى ظهور السيد المسيح، حيث «يصـل المؤمنـون إلى الخـلاص الـدائم»، بعـد معـركـة «الارمـاجـدون» الـتي سيهـزم فيهـا الشـر، ويســود الخير والسلام. . !، ورغم أن حكماء صهيون لا يتطابقون مع هؤلاء المتدينين في قناعاتهم الدينية على أوسع نطاق. . !

وفي مقـال في ملحق لـ «الجروزاليم بوست» الاسرائيلية، تحدث فيه الكاتب، عن «الصديق وقت الضيق» وهو يشير إلى هذه المجمـوعات التي تقف مع اسرائيل وتدافع عنها ضد كل انتقـاد، أو شجب لتصرفاتها في تاريخها كله، ولما كانت هذه الجمـاعـات تملك حصة كبيرة من الناخبين الأمريكيين وتتمتع بصـوت قوي، لأنهـا تملك المئـات من محـطات الإذاعـة والتلفـزيون، والصحف والمجـلات التي تصرف عليها بسخاء هائـل، فإنهـا ولا شك تمثـل ركيزة قوية لكـل فرق «اللوبي» الصهيوني في أمريكا وكندا واستراليا وبريطانيا وبقية دول أوروبا، هذه المجمـوعات التي يتجاوز عددها عشرة ملايين في أمريكا وحـدها، ويصل صوتها ونفوذها إلى مئات الملايين، ستكون ـ

بالتأكيد ـ على استعداد للوقوف مع الجماعات الرافضة في اسرائيل، لأن أي حل متوقع للقضية، لا يؤثر فقط على أحلام التوسع الاسرائيلي، وإنما يصيب عقيدة هؤلاء «المؤمنين»، بعودة السيد المسيح، ومعركة «الارماجدون» في الصميم . . . وإذا كان هؤلاء المتصهينون من المسيحيين الغربيين هم أشد إيماناً بصهيونيتهم من مؤسسي الصهيونية أنفسهم، فإنهم سيكونون السند الذي لا يشك في ولائه عندما يقرر قادة اسرائيل رفض تدخل الكبار في «شؤونهم الداخلية»!

إن حكماء صهيون وقادة اسرائيل ما زالوا يحتفظون بأوراق كثيرة، يستطيعون تحريكها عند الضرورة، في وجه الحلفاء والأعداء معاً. فإلى جانب «المتصهينين» أولئك الذين يمثلون العون الدائم «غير المنظور» فإن لقادة اسرائيل صلاتهم القوية والمعروفة بكل الدوائر والاحتكارات المالية، وتجارة السلاح وصناعتها، والتي يتألف منها جمهور الدعم الاسرائيلي في كل المصاعب والأزمات. . ولكنهم ـ أي زعماء الصهيونية ـ لن يصلوا إلى مرحلة الحسم، قبل زعماء الاتفاق فيما بينهم على رأي واحد، يجمع اليمين واليسار، والرافضين والجانحين إلى السلام، ليواجهوا العالم صفاً واحداً، إذا ما انتهى الرأي إلى قرار الرفض، والاستعداد لنسف الاتفاق الدولي، أو وضع العراقيل في طريق تنفيذه!

وفي تقديرنا أن اسحق شامير عندما كان يلوح بـ «مسعدة» جديدة، وقدر اسرائيل في الوقوف وحدها، كان يحاول أن يوصل

الرسالة إلى كل من تهمهم الدولة، بحجم الخطر الذي يتهددها، والمأزق الذي يحيق بها، مع رياح السلام التي تهب على العالم أجمع!

* * *

إننـا هنا على خطوط المواجهة مع دولة الصهيونية، ونحن نتـابع حركتها وتصاريح قادتها، نعرف الحجم الحقيقي لاسرائيل ونعـرف أبعاد عملية الابتزاز التي تمارسها باستعراض عضلات القوة، وتسريب أنباء ترسانتها النووية، ونعرف أين تكمن قدرتها الحقيقية، غير أن الأقـدر منا، وأقدر العرب جميعاً على معرفة اسرائيل وألاعيبها، وكيفية التعامل معها، هم أولئك الذين تشبثوا بأرضهم، وظلوا يقارعون العدوان، ويتحملون كل صنوف القهر والقمـع عشرات السنين، حتى قرروا في النهاية أن يطلبوا هم الموت الذي ينتظرون من ورائه الحياة. . وأن يواجهوا قدرهم، يواجهوا العدو بما يصل إلى أيديهم من حجارة فلسطين.

ونحن ننبه أن لا يفهم من مثل هذه الإشارة أننا نقلل من قدرة العـدو وقـوتـه، ولكنـا نحب أن لا يغيب عنا أن القوة الحقيقية لاسرائيل، التي استطاعت بها أن تستقر، وأن تمد جذورها في فلسطين، تتركز اليوم كما كانت تتركز منذ أربعين عاماً مضت، في الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها!

ودلال اسـرائيل على حاضنتها الأولى، وغضبها من بعض

obeikandl.com

التصرفات الأمريكية الآنية، يجب أن لا يحول أنظارنا، عن الحقيقة ووزن الأمور بميزانها الصحيح ـ على الأقل ـ من الوجهة النظرية، إذ أن دائرة القرار والفعل في المنطقة العربية، لا تزال ـ مع الأسف ـ تعج بالخلافات التي تهب بما يتلاءم ومخططات اسرائيل، ومن هم وراء اسرائيل!

نخلص من هذا كله، أن الحل الذي سيقرره أو يأتي به الوفاق الدولي لا يتحرك على أرض ممهدة، من الجانب الاسرائيلي على وجه الخصوص، أما أصحاب القرار العرب، فقد قدموا المطلوب منهم كله ـ على بياض ـ قبل أن يبرز شيء ملموس على أرضية الواقع، وهذا بطبيعة الحال، مما يسهل المهمة على الأقطاب، وعلى المجموعة الأوروبية التي تمهد باتصالاتها الآن طريق الوصول إلى المؤتمر الدولي، مثلما يسهل الأمر أمام الجميع عند التعامل النهائي مع اسرائيل «الحرون»!